بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي تفرد بالكمال وتوحد الصفات ، فليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، والصلاة والسلام على اشرف الخلق وسيد المرسلين ابي القاسم وعلى اله الطيبين الطاهرين وبعد :

ممن حفر التاريخ اسماؤهم من المصلحين الذين وضعوا مشروعاً فكرياً حضارياً مطبوعاً بالصيغة الاسلامية ومستنداً الى حضارة اسلامية عريقة .

فان العظيم يجب ان يقدر من جميع جوانبه لا من جانب واحد ، كان الشيخ محمد عبده مصلحاً دينياً ومصلحاً اجتماعياً وكان له الاثر كبير في الاصلاح لانه لم يكن يدعو الى الاصلاح نظرياً عن طريق التأليف او الخطب والمقالات فقط كما يفعل بعض المصلحين، بل كان يحاول دائماً ان يحول اصلاحه الى عمل ، ينغمس في الحياة الواقعية ليتمكن من تنفيذ برامجه الاصلاحية .

كما انه لم يترك شيئاً من جوانب الحياة الا عالجها وحاول اصلاحها فقد نظر الى مسألة المرأة ونادى بالحرية الدينية واهمية تعليم المرأة وكذلك عالج مشكلة الاسرة التي هي من اهم المشاكل في الحياة لان الاسرة هي نواة المجتمع فاذا اصلحت صلح المجتمع حيث تكمن اهمية الموضوع في ان المواضيع التي تتناول الشخصيات الاسلامية المصلحة هي التي تحتاج الى ابرازها وبيان اهميتها في التاريخ والبحث فيها .

وان الهدف من اختياري البحث هو ابراز دور هذه الشخصية العريقة التي تركت اثراً مهماً من خلال العلوم والكتب والمقالات التي افادت الاجيال بعد بالاضافة لدوره الاصلاحي الكبير في نشر الاسلام .

تحدثت في المبحث الاول عن حياة الشيخ محمد عبده ومؤلفاته وثقافته واساتذته وتلامذته وتنصيبه للافتاء ووفاته ورثائه ، وتحدثت في المبحث الثاني عن المشروع الاصلاحي في الفكر الاسلامي واثر اصلاحه الديني اللغوي والسياسي واثر اصلاحه الاسري و رحلاته بين بيروت وباريس.

وقد اعتمدت في كتابة بحثي هذا على عدد من المصادر منها زعماء الاصلاح في العصر الحديث لاحمد امين والاعمال الكاملة لمحمد عبده عمارة .

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

ومن الصعوبات التي واجهتها في بحثي قلة المصادر الذي كلفني عناء كبير في جمع المعلومات وبذلت جهدي في كتابة هذا البحث المتواضع ولا ادعي الكمال لان الكمال لله تعالى .

والله ولي التوفيق .

المطلب الاول :

أولاً : حياته

ولد الشيخ محمد عبدة حسن خير الله المعروف بـ (محمد عبدة) في سنة ١٢٦٦هـ -١٨٤٩م في قرية شبشير الحصة من قرى مركز المحافظة الغربية بمصر ، ولكنه نشأ بقرية (محلة نصر) من قرى مركز (شبر اخيت) التابع لمحافظة البحيرة ، حيث نشأ والده ونشأت أسرته من قبله[١] .

في اسرة تعتز بكثر رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام ، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات : هجرة وسجناً وتشريد وضياع ثروة ، وهو يحكي عن هذا الامر فيقول : (أنه سعي بأهلي عند الحكام بحجة أنهم ممن يحمل السلاح ويقف بوجوه الحكام واعوانهم عند تنفيذ المظالم ، فأخذوا جميعاً ونجوا من السجن واحداً بعد واحد ، ومن دخل السجن لا يخرج الأ ميتاً وكان جدي (حسن) شيخاً بالبلدة وهو الذي بقي من رجال البيت مع أبن أخيه أبراهيم ، فهذه النشأة علمته الاعتزاز بالمجد والاصالة وعدام الربط بين هذه الاصالة وبين الغنى والثروة ، والظن بأحترامه على أهل الثراء ، خصوصاً المسرفين منهم والعاطلين عن الكفاءة وايضاً الظن بهذا الاحترام على الحكام الظالمين[٢].

تلقى تعليمه الاول للقراءة والكتابة ، وحفظ القرآن بالقرية ، وبدء ذلك وهو في السابعة من عمره ، ثم ذهب إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليحظر هناك دروس تجويد القران الكريم في سنة ١٣٧٩هـ - ١٨١٢م ، وبدأ في سنة ١٨٦٤م يتلقي أول دروسه الأزهري في الجامع الأحمدي ، بعد أن استكمل تجويد القرآن ، ولكن أساليب التدريس العقيمة قد صدتة عن قبول الدروس ، فقرر هجران الدراسة بعد عام من شروعة فيها وعاد الى القرية سنة ١٨٦٥م وتزوج وعزم عن العمل بالزراعة مع ابيه وأخويه والانقطاع عن السلك التعليمي ولكن والده في هذه الفترة التقى بالشيخ درويش خضر ، خال والده

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

وهو صوفي كان على اتصال بالزاوية السنوسية فألقى اليه ببعض من حكمة التصوف وقاده إلى شيء من السلوك الصوفية فعادت إليه الرغبة في التعليم وعاد إلى الجامع الأحمدي سنة ١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م ، وبدء يفكر في الذهاب إلى القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهري وتحت تأثير التصوف حدث ذلك الذي صور به تلك الرغبة عندما كتب ليقول : (في يوم من شهر رجب من تلك السنة ١٢٨٢هـ كنت اطالع بين الطلبة واقرأ في شرح الزرقاني ، فرأيت أمامي شخصاً يشبة ان يكون من اولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب ، فلما رفعت رأسي اليه قال ما معناه : (ما أحلى حلواء مصر البيضاء) ، فقلت له واين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله (من جد وجد) ثم انصرف *فعددت ذلك القول إلهامًا ساقه الله إليَّ ، ليحملني على طلب العلم* في مصر دون طنطا) [٣].

أخذ محمد عبده الاستاذ الامام عن جمال الدين الافغاني الاصلاح الديني باعتباره السبيل الى تجديد حياة الشرق والشرقيين وقدم بهذا المنهج بناءاً فكرياً مكتمل [٤].

كان محمد عبده من ابرز شيوخ عصره الذين وضوا كاهلهم مسؤولية التغيير والتنوير والاجتهاد في النص الديني والتحقق التام من المصادر الاسلامية وكتب الفقة عبر البحث والتمحيص ، التوثيق ، الاستنساخ والدراسة[٥] .

كان محمد عبده ١٨٤٩م عالم دين وفقيه ومجدد اسلامي مصري ، يعد احد رموز التجديد في الفقة الاسلامي ومن دعاة النهضة والاصلاح في العالم العربي الاسلامي ساهم بعد ذلك التقائه بأستاذه جمال الدين الافغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية اسلامية في اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تهدف إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري وإعادة احياء الأمة الاسلامية لتواكب متطلبات العصر[٦] .

وفي عام ١٨٨٢م اندلعت ثورة عرابي فشارك فيها ، وسجن ثلاث أشهر ثم نفي ثلاث سنوات قضي سنة منها في بيروت ، انتقل بعدها إلى باريس بدعوة من جمال الدين الافغاني فاصدر معه مجلة (العروة الوثقى) ، عاد الى بيروت ثانية ليدرس في جوامعها ويكتب في مجلة (ثمرات الفنون) ، وفي عام ١٨٨٨م عاد الى مصر من المنفى بواسطة صديقة (رياض باشا) الذي تولى الوزارة في عهد الخديوي توفيق فانصرف الى قضايا التجديد الديني والاصلاح ، وعنى بصورة خاصة بإصلاح المؤسسات الدينية كالإزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية وقد اختير عضواً في مجلس شورى القوانين ومجلس

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

الاوقاف والجمعية الخيرية الاسلامية ، وفي عام ١٨٩٩م اختير لمنصب الافتاء في مصر[٧] .

ثانياً : أهم مؤلفاته

– رسالة التوحيد وهي دراسة عقلية للإلهيات والاصول الفكرية الاسلامية قدم فيها تفسيرات وضح فيها منهجه التجديدي [٨].

– ظهرت له اعمال اخرى مثل تقرير اصلاح المحاكم الشرعية سنة ١٨٩٩م .

– تشير الدلائل الى أن الامام قد شارك في اعداد كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين فقد كتب فصول منه ثم صاغ الامام بنفسه الكتاب صياغة نهائية[٩] .

– كتب عدد من المقالات التي ابرزت فكره الاجتماعي ورغم انها لا تقدم تصور كاملاً الا انها اظهرت معارضته للغنى الفاحش ودعوته الى التكافل الاجتماعي[١٠] .

– كتب بعض المقالات في التربية والسياسة فقد ترجم كتاب هربرت سبنسر التربية عن الفرنسية ، إما عن المقالات السياسية فكتب واحدة بعنوان المستبد العادل واخرى بعنوان أثار محمد علي وثالثة بعنوان الرجل الكبير في الشرق[١١] .

– كتابات متفرقة عن رفضه للاحتلال .

– كتب مقدمة لرسالة الواردات وقام بنسخ كتاب الاشارات لابن سينا .

– بعد تخرجه من الازهر نشر كتاب البصائر البصيرية لكي يوجه الازهريين الى دراسة علم المنطق بالإضافة الى مقالة العلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية وكتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة .

– شرح نهج البلاغة للامام علي (ع)[١٢].

– كتاب عن الاسلام والعلم الذي رد به على فرح انطون فرأيت رجل علمياً بالإسلام وتاريخه وفضله على الحضارة الانسانية ، علمياً في الوقت نفسه بالنصرانية والهندوسية وتاريخهما وما يكتفية من علوم [١٣].

ثالثاً : ثقافته

اما عن ثقافته الفكرية فتتضح في المقالات التي كان يرسلها لصحيفة الاهرام وقد بدأ نشاطه فيها مبكراً ، واتجه الى كتابه في الموضوعات الدينية والتعليمية ، وشرع في كتابه لائحة اصلاح التعليم العثماني ولائحة اصلاح القصر السوري وشرع في كتابة لائحة

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

اصلاح التربية في مصر ، وفي تحقيق كتاب التراث العربي الاسلامي ، وحقق وشرع مقامات بديع الهمذاني ونهج البلاغة .

كما بدأ في تفسير القرآن بمنهج جديد يعتمد على العقل وقد رد الامام في مقالات ست نشرت بالمؤيد مؤكد على ان الاسلام هو الذي نقل الحضارة الى اوروبا .

وقد رد على فرح انطون صاحب مجلة الجامعة بخصوص ما كتبه حول سماحة المسيحية وجاء رده مبيناً دعوة الاسلام الى احترام الاديان الاخرى وكونه عقيدة للدنيا والدين معاً لا فصل بينهما(١٤) .

وكذلك قرأ محمد عبده القديم والحديث من ثقافة عصره وعلومة فقد درس كتب الازهر كالاجرومية وقطر الندى وشذور الذهب ومغني اللبيب في النحو ، وقرأ تلخيص المفتاح (مفتاح العلوم) وقرأ السلم في المنطق ، وقرأ في العقائد والاصول وصحيح البخاري والجامع الصغير للسيوطي والموطأ لمالك ، وكتب السيرة ، وفي التفسير قرأ الكشاف ومفاتيح الغيب وجامع البيان والجلالين .

وقرأ من جانب أخر كتباً أخرى درسها على السيد جمال الدين الافغاني ، وكتباً قرأها بنفسه ، وتناول الكتب الغربية الحديثة وكتباً فرنسية إذ انه كان ملماً باللغة الفرنسية .

فقد اطلع على مقدمة ابن خلدون ومروج الذهب للمسعودي وكتب الطهطاوي والكواكبي اللذين عاصراه ، وقرأ الكامل في التأريخ لابن الاثير ، والتصوف للجيلي وللشعراني ، والمنقذ من الضلال للغزالي .

وقرأ على الافغاني الفلسفة والمنطق والعقائد والاصول والهيأة القديمة ، كما اثر الافغاني بتلميذه محمد عبده بتوجيهة نحو قراءة نهج البلاغة الذي شرحة باختصار فيما بعد ، كما ترجم عبده بعض كتب استاذه الافغاني عن الفارسية بمساعدة ابي تراب تابع الافغاني مثل كتاب (الرد على الدهريين) .

وقرأ محمد عبده حتى لتلاميذه كفريد وجدي ، وكذلك الفتوحات المكية لابن عربي وقرأ الاناجيل ، وتأثر المعتزلة في نزوعهم العقلي وقال بخلق القرآن مثل قولهم وهي المقولة التي حذفها رشيد رضا عند طبعة رسالة التوحيد .

واتسعت قراءاته لتشمل الموافقات للشاطبي في الفقة واصوله ، واحياء علوم الدين للغزالي ، والاحكام السلطانية للماوردي ومقامات الهمذاني وكليلة ودمنة ، والعقد الفريد

وجواهر الادب لتلميذه احمد الهاشمي .

ونظر في الكتب الغربية المترجمة في التاريخ والادب واطلع على معالم الثقافة الاوربية ، وقرأ للفيلسوف الفرنسي كونت ولدارون وسان سايمون وروسو ، كما كان معجباً بتولستوي الاديب الروسي من خلال مراسلاته معه والتقى الفيلسوف الانكليزي (سبنسر) وتعرف على فكر لوبوث في كتابه (حضارة العرب) واستطاع ان يتعلم اللغة الفرنسية في الرابعة والاربعين من عمره وشرع بتعلم الالمانية ومن ذلك يتبين لنا مدى أتساع ثقافته وإلمامه بتيارات عصره الثقافية القديمة والحديثة ، وظهرت معالم ذلك التوسع في مؤلفاتة وأرائه وفتاويه ومواقفه [١٥].

المطلب الثاني :

أولاً : أساتذته

تأثر الشيخ محمد عبده بعدد من الرجال الذين أثروا فيها وكان من اولهم الشيخ (درويش خضر) الذي كان يلتقي به في أجازته من كل عام ، فيتعهده بالرعاية الروحية والتربية الوجدانية فيصب في روحة من صوفيته النقية ويشحذ عزيمته ونفسه بالإرادة الواعية وبحركة للاتصال بالناس ، والتفاعل مع المجتمع ويدعوه الى التحدث الى الناس ونصحهم ووعظهم [١٦].

وهو الذي ساعد على تجاوز حدود العلوم التي درسها بالازهر ونبهه الى ضرورة الاخذ من كل العلوم بما فيها تلك العلوم التي رفضها الازهر وضرب حولها سياجا من المنع والتحريم .

ومن ثم فقد اتصل (محمد عبده) بالرجل الثاني الذي كان له اثر كبير في توجيهة الى العلوم العصرية وهو الشيخ (حسن الطويل) الذي كان له معرفة بالرياضيات والفلسفة وكان له اتصال بالسياسة وعرف بالشجاعة في القول وكان حسن الطويل ذات ذكاء حاد وقد حركت دروس الشيخ (حسن الطويل) كثيراً في نفس الشيخ (محمد عبده) ودفعته الى البحث عن المزيد[١٧] .

لكن دروس الشيخ حسن الطويل تفتح شهية (محمد عبده) ولا تغذية فيجد الغذاء الكافي عن السيد جمال الدين الافغاني .

كان السيد جمال الدين الافغاني يفيض ذكاء وحيوية ونشاطاً ، فهو دائم الحركة ودائم التفكير ودائم العطاء والنقد وكان محركاً للعديد من ثورات الطلاب ومظاهراتهم ثباتها والنهوض بها من كبوتها وضعفها ، فعمل على تبصرة الشعوب بحقوقها من خلال تنوير عقول ابنائها [١٨].

ووجد (الافغاني) في (محمد عبده) الذكاء وحسن الاستعداد وعلو الهمة فضلاً عن الحماسة في الدعوة الى الاصلاح ، ورأى (محمد عبده) من خلال (الافغاني) الدنيا التي حجبتها عن طبيعة الدراسة في الازهر ، وتلازم الشيخان ونشأت بينهما صداقة صافية ، وساد ببينهما نوع من الوئام والتوافق والانسجام على اساس من الحب المتبادل والاحترام والتقدير[١٩] .

نال الشيخ محمد عبده الشهادة العالمية من الازهر فلم يكن كغيره مثل ساقة (جحا) تملأ من البحر وتصب في البحر بل علم الازهر وعلم في دار العلوم ومدرسة الألسن واتصل بالحياة العامة .

ثانياً : تلامذته

- محمد رشيد رضا

شاعر النيل حافظ ابراهيم الذي قال مرثيته راسماً فيها صورة صادقة جياشة لشخصية العالم المخلص وقد ادار حافظ قصيدته على محاور تقوى الامام وصبره على ما ابتلى به من اذى الحاقدين وموقفة التاريخي في دحض اباطيل المستشرقين وتفسير القرآن الكريم .

- الشيخ الشهيد عز الدين القسام والذي كان اول من نادى بالثورة على الانجليز والصهيانة وتحرير فلسطين من بين ايديهم .
- شيخ الازهر محمد مصطفى المراغي .
- شيخ العروبة محمد محي الدين عبد الحميد .
- شيخ الازهر مصطفى عبد الرزاق .
- سعد زغلول .
- قاسم امين .
- محمد لطفي جمعة .

– طه حسين [٢٠].

ثالثاً : تنصيبة للأفتاء

في ٣ يونيو ١٨٩٩م – ٢٤ محرم ١٣١٧هـ صدر مرسوم خديوي وقعة الخديوي (عباس حلمي الثاني) بتعيين الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية وهذا نصة : صدر أمر عال من المعية السنية بتاريخ ٣ يونيو ١٨٩٩م – ٢٤ محرم ١٣١٧هـ نمرة سابو صورته فضيلة حضرة الشيخ محمد عبده ، مفتي الديار المصرية : بناء على ما هو معهود في حضرتكم من العلامة وكمال الدراية قد وجهنا لعهدكم وظيفة افتاء الديار المصرية واصدرنا امرنا هذا لفضيلتكم للمعلومية والقيام بمهام هذه الوظيفة وقد اخبرنا الباشا رئيس مجلس النظار بذلك .

كان منصب الافتاء يضاف لمن يشغل وظيفة مشيخة الجامع الازهر في السابق وبهذا المرسوم استقل منصب الافتاء عن منصب شيخة الجامع الازهر وصار الشيخ محمد عبده اول مفتي مستقل لمصر معين من قبل الخديوي عباس حلمي ، وكان عدد الفتاوي ٩٤٤ فتوى استغرقت المجلد الثاني من سجلات مطبعة دار الافتاء بأكمله ، وصفحاته ١٩٨ كما استغرقت ١٥٩ صفحة من صفحات المجلد الثالث [٢١].

من أهم فتاوية :

– عن الوقف وقضاياه، والميراث ومشكلاته، والمعاملات ذات الطابع المالي والآثار الاقتصادية، مثل البيع والشراء، والإجازة والرهن والإيداع، والوصاية والولاية على القصر،والحكر والحجر والشركة وإبراء الذمة، ووضع اليد والديون واستقلال المرأة المالي والاقتصادي، يبلغ عدد فتاواه في ذلك ٧٢٨ فتوى.

– عن مشاكل الأسرة وقضاياها، من الزواج، والطلاق والنفقة والإرضاع والحضانة، والإقرار بالغلام المجهول، وعدد فتاواه في ذلك ١٠٠ فتوى.

– عن القود والقتل والقصاص، عدد فتاواه في ذلك ٢٩ فتوى، ونلاحظ أن ٨٠% من الفتاوي تتعلق بمشكلات خاصة بالحياة المالية والاقتصادية وقضاياها[١].

ظل الشيخ محمد عبده مفتياً للديار المصرية ست سنوات كاملة حتى وفاته عام ١٩٠٥م[٢٢].

رابعاً : وفاته

توفي الشيخ محمد عبده في الساعة الخامسة مساء يوم ١١ يوليو عام ١٩٠٥م / ٨ جمادى الاول ١٣٢٣ هـ ، توفى الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان وكان عمره سبع وخمسين سنة، ودفن بالقاهرة ورثاه العديد من الشعراء[٢٣].

بعد إن يئس الشيخ محمد عبده من اصلاح الازهر فكر في انشاء معهد جديد ينظمة حسب ما يرى له و أوقف احد الاثرياء قطعة من الارض لهذا الغرض لكن المنية حالت دون تحقيق هذا الأمل ووافاه الاجل بالاسكندرية [٢٤].

إن الحملة الشرسة ضد الامام تحول الموقف الى عداء سافر من الخديوي فبدأت المؤامرات والدسائس تحاك ضد الامام الشيخ ، وبدأت الصحف تشن هجوماً عليه لتحقيره والنيل منه ، ولجأ خصومه الى العديد من الطرق الرخيصة والاساليب المبتذلة لتجريحه وتشويه صورته امام العامة حتى اضطر الى الاستقالة من الازهر في سنة ٣٢٣هـ – ١٩٠٥م واثر ذلك عليه فاحس الشيخ بالمرض واشتدت عليه وطأة المرض الذي تبين انه السرطان وما ان لبث ان توفي بالاسكندرية في ٨ جمادى الاول [٢٥].

خامساً : رثائه

رثاه العلماء والكتاب والادباء والشعراء، وقال فيه أمير الشعراء احمد شوقي :

مُفسِّرَ آي الله بالأَمس بيننا

قم اليومَ فسرْ للورى آيةَ الموتِ

رحمتَ، مصيرُ العالمين كما ترى

وكلُّ هناءٍ أو عزاءٍ إلى فَوْت

هو الدهرُ: ميلادٌ، فشغلٌ، فمأْتمٌ فذِكر

كما أَبقى الصَّدَى ذاهبَ الصَّوت[٢٦].

وكذلك قال فيه شاعر النيل حافظ ابراهيم في رثاءه :

سَلامٌ عَلى الإِسلامِ بَعدَ مُحَمَّدٍ

سَلامٌ عَلى أَيّامِهِ النَضِراتِ

عَلى الدينِ وَالدُنيا عَلى العِلمِ وَالحِجا

عَلى البِرِّ وَالتَقوى عَلى الحَسَنات
لَقَد كُنتُ أَخشى عادِيَ المَوتِ قَبلَهُ
فَأَصبَحتُ أَخشى أَن تَطولَ حَياتي[٢٧].

المشروع الاصلاحي في الفكر الاسلامي :

حينما تولى الخديوي " توفيق " العرش تقلد رياض باشا رئاسة النظار فأتجه اصلاح الوقائع المصرية واختار الشيخ محمد عبده ليقوم بهذه المهمة فضم محمد عبده اليه سعد زغلول وابراهيم الهلباوي والشيخ محمد خليل وغيرهم ، وانشأ في الوقائع قسماً غير رسمي الى جانب الاخبار الرسمية فكانت تحرر فيه مقالات اصلاحية ادبية واجتماعية ، وكان الشيخ محمد عبده هو محررها الاول وظل الشيخ محمد عبده في هذا العمل نحو سنة ونصف السنة ، استطاع خلالها ان يجعل الوقائع منبراً للدعوة الى الاصلاح .

وكان في مصر تياران قويان يتنازعان حركة الاصلاح :

الأول : يمثله فريق المحافظين الذين يرون أن الإصلاح الحقيقي للإمة إنما يكون من خلال نشر التعليم الصحيح بين افراد الشعب ، والتدرج في الحكم النيابي ، وكان الامام محمد عبده والزعيم سعد زغلول ممن يمثلون هذا التيار[٢٨] .

الثاني : يدعو الى الحرية الشخصية والسياسية تأسيا بدول أوروبا ، وكانت نواته جماعة من المثقفين الذين تعلموا في اوروبا ، وتأثروا بجو الحرية فيها واعجبوا بنظمها ، ومنهم أديب اسحاق وكان هؤلاء ينظرون الى محمد عبده ورفاقه على أنهم رجعيون ، ولا يوافقهم فيما ذهبوا اليه من ان الاصلاح ينبغي ان ياتي بالتدريج ليستقر ، وليس طفرة فيزول .

إن اهم غرض للشيخ محمد عبده كان اصلاح العقيدة والمؤسسات الإسلامية كالأزهر والاوقاف والمحاكم الشرعية[٢٩] .

إن من اهم اصلاحات محمد عبده هي :

أ- اصلاحه الديني .

ب- اصلاحة اللغوي .

ت- اصلاحه السياسي .

المطلب الاول :

أثر إصلاحه الديني :

اتجه فيه الى إصلاح الأزهر وكان رأيه أنه إذا أصلح خدم العالم الاسلامي أكبر خدمة ، لأنه سيخرج قوماً غيارا على الدين ، متنورين ينبثون في جميع انحاء العالم الاسلامي فيحملون مثل رسالته ويقومون بمثل دعوته وقد استعان على ذلك بالخديوي والانجليز وبمنصبه وجاهه واصدقائه ، ثم كان من امره ما ذكرنا ولهذا وامثاله وصفه اللورد كرومر بانه (كان رجلاً مستنيراً الراي بعيد النظر خيالياً حالما بعض الشيء ولكنه كان وطنياً صادقاً) [٣٠].

ومع انه لم يصل في الازهر الى ما يريد ولا الى بعض ما يريد فقد خلف فيه طبقه مستنيرة وان كانت قليلة اعتنقت مبادئه وتشبعت بآرائه وان لم تكن لها حماسته وغيرته[٣١].

واتخذ اهم وسيلة العقيدة تفسير القران الكريم جعله دينه يدرسه في بيروت في مسجدين ويدرسه في احد مساجد القاهرة وهو قاض ويدرسه في الازهر وهو في القضاء والافتاء ، ويتخذ موضوع محاضرته في الجزائر تفسير سورة العصر ، ويفسر جزء عمَّ لتلاميذ مدارس الجمعية ، الخيرية الاسلامية ، وينشر دروسه في التفسير في مجلة المنار ليقرا في العالم الاسلامي [٣٢].

كان يقرا الآية فاذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحاً وافياه عارضاً ما ورد في القرآن في موضوعها مبيناً ما دخل على المسلمين في هذه العقيدة من فساد ودخيل، واذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها ، واذا اتصلت بحالة اجتماعية اوضح اثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الامم مسترشداً بالواقع مستشهداً لما يجري في العالم في بيان متدفق ولسان ذلق وصوت جميل اخاذ ، فهو تفسير عملي يشرح الواقع ويبين سببه وهو اخلاقي يدعو للعمل على مبادئ الاسلام ويبين أنها منبع السعادة في كل العصور وهو روحاني يدعو الى السمو بالنفس الى العالم العلوي وينزه الله عما دخل وعلى العقيدة من الفساد بالإشراك مع الله الاولياء وعبادة الاضرحة والتشفع باهل القبور ، واقامة الموالد ونذر ، النذور وهو في كثير من مبادئه يشبه تعاليم الوهابية في الرجوع الى الاصول الاولى للإسلام ، وتنقيته من البدع والخرافات والاوهام ، ولكنه

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

يتقبل ما صلح من مبادئ المدينة الحديثة ، ويدعو الى الاخذ بها ما اتفقت والإسلام[٣٣]، اكبر قيمة له في تفسيره انه كان يحي العواطف ويحرك المشاعر ، اكثر مما يستقص بحث المسائل العلمية ، فهو يتجه الى القلب اكثر مما يتجه الى العلم والعقل ، متأثراً في ذلك بطبيعة الدين نفسه ، أفادته سعة اطلاعه على الفلسفة الاسلامية ثم ايصاله بالثقافة الغربية ، وقراءته بعض اصولها ، ورحلاته الى اوروبا ، وملابسته لحياتها ، ومقابلته فلا سفتها وسماعه بعض محاضراتها ، ان ينظر الى حال المسلمين نظرة اشفاق في عقيدتهم واعمالهم ، فيبث كل ما يرى من اصلاح حول تفسير ايات القران [٢]، واستمر يدرس هذا الدرس في الازهر نحو ست سنين ، كان يحضر كثير من عليه القوم وكبار القضاة والموظفين وشباب الازهر والمدارس العالمية ، وكان ذا اثر ، كثير فيهم .

كان يرى ان إصلاح المسلمين من طريق دينهم اسير واصح من اصلاحهم من طريق الاصلاح المعتد على مجرد العقل ومقياس المنفعة والتقليد الاوربي وان هذا الطريق هو الذي سلكه جميع المصلحين المسلمين يقول : (ان الغرض الذي يرمي اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد وازالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين حتى اذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الاعمال من الخلل والاضطراب واستقامة احوال الافراد واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقة دينية ودنيوية وتهذيب اخلاقهم بالملكات السليمة وسرى الصلاح منهم الى الامة[١]، واذا كان الدين كافلاً بتهذيب الاخلاق ، وصلاح الاعمال ، وحمل النفوس على طلب السعادة من ابوابها، ولأهله من الثقة به ما بيناه ، وهو حاضر لديهم ، والعناء في ارجاعهم اليه احق من احداث ما لا المام لهم به ، فلم العدول عنه الى غيره(٣٤) .

وكما جد في نشر تعاليمه وآرائه في الاسلام جد في الدفاع عنه ، وكانت تأخذه الغيرة الشديدة اذا مسه احد بسوء يتجلى ذلك في موقفين شهيرين :

١- رده على هانوتو ففي اوائل سنة ١٩٠٠م نشرها هانوتو مقالاً عن الاسلام بمناسبة سياسة فرنسا في المستعمرات الاسلامية ، ثم تعرض للمقارنة بين المدينة النصرانية والاسلامية ووازن بينهما في مسألتين : ذات الله والقضاء والقدر[٣٥] .

فقال : ان اعتقاد النصارى في التثليث وتصورهم للإله الانسان جعلهم يرفعون مرتبة الانسان ويخولونه حق القرب من الذات الالهية ، على حين ان العقيدة الاسلامية بدعوتها الى التوحيد وتنزيه الله عن البشرية حملت الانسان على الضعف والوهن والعقيدة المسيحية القائلة بحرية الانسان وارادته دفعته الى العمل والجد ، اما عقيدة المسلمين في القضاء والقدر فحملتهم على الجمود والركود ونشرت ترجمة هذا المقال في المؤيد ، فلم ينم الشيخ محمد عبده ليلته حتى كتب الرد عليها فضل الاسلام اول مقالة له في ثاني يوم ثم تتابعت مقالاته بين فيها فضل الاسلام وان عقيدة التوحيد اسمى فكرة وان الاسلام لم يدع الى الجبرية بالمعنى الذي يفهمه هانوتو وان في القران اربعا وستين اية تثبت حرية الارادة الخ ..

وكان من نتائج هذا كتابه المشهور " الاسلام والنصرانية "[٣٦] .

٢- واما الموقف الثاني فقد نشر فرح أنطوان في مجلة " الجامعة " مقالاً عن ابن رشد قرر فيه ان المسيحية كانت اوسع صدراً واكثر تسامحاً للعلم والفلسفة من الاسلام ، فرد عليه الشيخ محمد عبده في سلسلة مقالات يثبت فيها سعة صدر المسلمين للفلاسفة واهل العلم والاديان الاخرى ، مما لم يكن له نظير في أي دين اخر [٣٧].

المطلب الثاني :

أثر اصلاحة اللغوي

أما إصلاحه اللغوي والأدبي فقد بدأه بإصلاح أسلوبه نفسه اخذ يكتب في جريدة ألاهرام بأسلوب متأثر بالكتب الازهرية وخاصة بما الف في الفلسفة الاسلامية وبما هو شائع في ذلك العصر من السجع والازدواج وبمقدمات طويلة قبل الدخول في الموضوع ثم اخذ يقوي اسلوبه ويصح ويزداد حركة وقوة من روح استاذه جمال الدين كما يتجلى في مقالات العروة الوثقى ثم مرن قلمه وتدفق من طول ما كتب وعالج حتى بلغ غايته في مقالاته في الرد على هانوتو حيث تحمل بجمال البساطة وتدفق المعاني في سلاسة وقوة[٣٨].

ونظر الى اساليب الكتاب فحاول اصلاحها ما استطاع ، فكان يقدم نماذج للكتابة ايام كان مشرفاً على الوقائع المصرية بما يكتبه هو واصحابه فيها وكان يلفت نظر

الجرائد الى سوء اسلوبها ، ويلزم اصحابها ان يختاروا من يرفع مستوى الكتابة فيها .

ولما كان في بيروت كان يعلم في " المدرسة السلطانية " الانشاء ونشر مقامات بديع الزمان الهمذاني بعد ان ضبطها وشرحها و " نهج البلاغة " بعد ان ضبطه وشرحه ، يرمى بذلك الى تغذية الناشئين بأدبهما واتخاذهما نموذجاً من نماذج الاساليب الجيدة[٣٩].

ولما عاد الى مصر كان من دروسه درس في البلاغة لا على نمط البلاغة التي افسدتها الفلسفة بل على النمط الذي يربى الذوق ويرقى الاسلوب، فقرأ كتابيْ دلائل الاعجاز واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، وكان هو السبب في نشرها ، فقدم بهما معنى للبلاغة لم يكن مفهوماً للناس من قبل [٤٠].

وفي سنة ١٣١٨م اسس في مصر جمعية برئاسته سميت " جمعية احياء الكتب العربية " كانت فاتحة اعمالها نشر كتاب المخصص في اللغة ، وقد عهد في تصحيحه للعالم اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، وشرعت الجمعية بعد المخصص في اعداد مدونة الامام مالك للطبع بعد ان استحضر لها الشيخ محمد عبده اصولاً من تونس وفاس[٤١].

وهو الذي اخذ بيد الشنقيطي ولولاه ما بقي في مصر ، فكان الشنقيطي علماً من اعلام اللغة يعلمها للناس ويصحح ما تعقد من الكتب وينشر البحوث اللغوية الدالة على اطلال واسع وتدقيق عميق .

وهو الذي عهد الى الاستاذ سيد المرصفي في تدريس كتب الادب بالازهر امثال كتاب الكامل للمبرد وديوان الحماسة لابي تمام ولم يكن في ذلك معروفاً من قبل ، فكان عمله هذا سبباً في نهضة لغوية ادبية واضحة تأثر بها كثير من الادباء البارزين وتلاميذهم فان قلنا انه حدس الكتابة يعني فيها بالمعاني لم نبعد [٤٢].

المطلب الثالث :

أثر اصلاحة السياسي :

اما اصلاحه السياسي فكان في مجلس الشورى مذ عُيّنَ عضواً به فكان قوة فعالة فيه قال صديقه حسن عاصم وكان زميلا له المجلس : لقد عين الشيخ محمد عبده سنة ١٨٩٩م وكان بين اهل الحل والعقد في الحكومة وبين رجال مجلس الشورى شيء اشبه بالخلاف في الراي ادى الى ان الحكومة نفذت كثيراً من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة في عدم العمل بها وصرفت النظر عن كل اوجه التعديل في المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة في تعديلها[٤٣] .

فلما جاء الأستاذ الى المجلس ونظر في الأمر نظرة الحكيم البصير، وعرف أن ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج ، وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها ، سعى رحمه الله في ان يزيل اسباب هذا الخلاف ، فكان ما اراد ، وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيه سعادة الامة ، وينبغي الخير لها ، وان ليس له غرض في مصادمة اراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصده، وعلم المجلس ايضاً ان الحكومة لا تقصد الى شيء وراء ما يقصده لمصلحة البلاد وبذلك اتفقت الكلمة في الغالب ، ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حله [٤٤].

وكان ما ترسله الحكومة من المشروعات يؤلف المجلس لجنة لدرسه، وكثيراً ما تكون برئاسة الاستاذ سواء اكانت المسألة قانونية أم اجتماعية ام شرعية ، حتى قد التهم المجلس وقته وهو لا يعبا بالجهد يبذل فيه ، لانه كان يرى ان عمله مع الاعضاء، درس يعلم الجد والاهتمام بالأمور العامة للبلاد وانه وسيلة لتربية الراي العام .

هذه من الناحية السياسية الرسمية ، اما غير الرسمية

- واعنى بها عمله في موقف الامة من الحكام – فقد لخص موقفه منهما في قوله : " انه يريد تنبيه الراي العام حتى يميز ما للحكومة ، من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة وان الحاكم من البشر يخطئ ويصيب ، ولا يصده عن الخطأ الا يتيقظ الراي العام ووقفه ، الحاكم اذا تجاوز حده بالقول او الفعل [٤٥].

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

ووسيلة تنبيه الراي العام التعليم ، وخاصة التعليم الاجتماعي ، والصحافة النزيهة ، وتربية القادة في مجلس الشورى وامثاله ، فيدرسون المسائل درساً وفيا، ويبدون الراي في اخلاص وامانة فيكون هذا كله درساً يقلد عند طبقات الشعب.

هذا النحو من السياسة وهو الاعتماد في النضج السياسي ، على التعليم والتربية برنامج عقل على لا برنامج شعور وهو قلما ينجح في الدعوة السياسية انما ينجح فيما من يعتمد على الشعور والهاب العواطف ولذلك نجح عبد الله نديم ومصطفى كامل سياسياً اكثر مما نجح محمد عبده .

لقد أيقض الشيخ محمد عبده الشعور الديني ، واشعر المسلمين انهم يجب ان يهبوا من رقدتهم لاصلاح نفوسهم وتكميل نقصهم ، والا يعتمدوا على الفخر بماضيهم ، بل يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم ودعا الى ان العقل ، يجب ان يحكم كما يحكم الدين فالدين عرف بالعقل ، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معاً حتى نستطيع ان نواجه المسائل الجديدة في المدينة الجديدة ، ونقتبس منها ما يفيدنا ، لان المسلمين لا يستطيعون ان يعيشوا في عزلة ، ولابد ان يتسلحوا بما تسلح به غيرهم واكبر سلاح في الدنيا هو العلم واكبر عمدة في الاخلاق هو الدين ومن حسن حظ المسلمين ان دينهم يشرح صدره للعلم ويحض عليه ، وللعقل ويدعو اليه وللاخلاق الفاضلة التي تدعو اليها المدينة الحاضرة لقد خلف في هذه الآراء كلها مدرسة تأخذ بتعاليمه وتعتمد على آرائه ، منهم من اخذها عنه شفاها ومنهم ، في الاقطار الاسلامية المختلفة من اخذها عنه نشرها في كتبه ومقالاته وكانت مدرسته هذه مدرسة قوية الاكثر واضحة المعالم وحسبنا دليلاً على هذا ان اكثر من تصدَّ وللاصلاح الديني او الاجتماعي او السياسي بعده كانوا من تلاميذه او من اصدقائه المتأثرين به [٤٦].

قام الفكر السياسي البشري منذ القدم على دراسة ظاهرة السلطة وكيفية تنظيمها في المجتمع، بأعتباره الصلة العضوية المتينة بين نظام الحكم وبين حياة المجتمعات ونشاطها ، فحيث لا تكون دولة منظمة لا يكون هناك مجتمع حي متطور ، ولكي نفهم معنى الدولة لابد من تفسير نظام سلطتها التي تقوم عليها السلطة ، هي القدرة القسرية التي تستأثر بها دون غيرها من المؤسسات الاخرى ، وتستند على القانون الوضعي أو شريعة دينية منزلة تيسر مختلف انشطة المجتمع والدولة ليست الشكل السلطوي الوحيد

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

في المجتمعات فهناك سلطة العائلة وسلطة المدرسة وسلطة الجمعية الدينية ، لكن سلطة الدولة اهم هذه السلطات ولذلك فان أهم ما شغل تفكير الانسان عند حديثه عن الدولة ونظام الحكم والسلطة فيها هو نوعية سياستها والقيم الأساسية التي تقوم عليها [٤٧].

لقد أثر فهم الامام محمد عبده المتفتح والمستنير بالفعل في رؤيته لنظام الحكم والسلطة عموماً ، إذ إن النظرة الجامدة المحافظة هي من مسؤولية المجتمع وليست هناك سلطة معينة لنفسها حق فرضها بصورة محددة على غيرها من الناس [٤٨].

وكانت وجهة نظر الشيخ محمد عبدة مهمة ، سبق فيها تلميذه علي عبد الرزاق بسنوات عديدة ، ذاكراً أن الاسلام لم ينص على شكل معين ومحدد يسمى (خلافة) الزم به جميع المسلمين في كل مكان وزمان ودعا الى تطوير مفاهيم الشريعة الاسلامية عن الحكم والسلطة مثل الشورى والعدل والمساواة لقد رفض الشيخ محمد عبده ان يخضع المسلمون لتصور واحد للشريعة أو قواعد قاطعة في جميع العصور وذلك أنها أصبحت جامدة بهذا التصور على مر الزمان مما جر الناس لأهمالهما والعزوف عن تطبيق إحكامهما[٤٩] .

رأى الشيخ محمد عبده إن الشريعة الحقيقية التي يمكن أن يستمد منها نظام الحكم والسلطة ، وهي التي كانت في العصر الذهبي ، أيام الرسول محمد (ص) والصحابة وليست كما اصبحت مع أهل المذاهب والمدارس الفقهية فيما بعد ، ومع ذلك فانه جادى وجهة نظر المعتزلة القديمة الذين اعتبروا الحكم من متعلقات البشر ، وهو مدني بالطبع قابل للاجتهاد والنظر فلم يشغل نفسه كثيراً بالحديث عن النظام الخلاقي شكلاً سياسياً محمداً في الاسلام بقدر ما أهتم بالتأكيد على الوطنية للحكومة الإسلامية والتأكيد على ان السياسة الشرعية والمفرقة بالغيبيات تعد في اغلب الأحيان نظرة مناصرة للحكم الفردي الاستبداي وتمنح الشرعية والكاملة للحكام ما داموا مسلمين يتظاهرون بالقيام بحماية العقيدة وشعائر الدين، إما الرؤية العقلانية التي تجعل من الدين على شاكلة الشيخ محمد عبده نصيراً لمصلحة المسلم وعاملاً من عوامل تطوره الاجتماعي فهي تلح على أن يقوم الحكم على إرادة الأمة وتكون السلطة بمقتضى تلك النظرة نابعة من الإرادة الشعبية العامة وقد ظهر في الجيل الأول من المصلحين أمثال خير الدين، الطهطهاوي، اتجاه قومي نحو الافكار النيابية والدستورية التي انتشرت في الممالك الكستنيوتية في

أوربا ورفض واضح للنظام القديم والحكم الذي يقوم على الاستبداد والتسلط الفردي ونلاحظ إن الشيخ محمد عبده قد أسهم في دفع ذلك المسار السياسي التحرري فكتب عن الثوري والحرية والقانون وشارك في مجلس شورى القوانين أيام الخديوي توفيق ، ابتداءاً من عام ١٨٩٢م[٥٠] .

وكذلك تأثر الشيخ محمد عبده بفكرة العدالة الاجتماعية في الاسلام ، واهتم بالقانون وإصلاح القضاء ، وفصل السلطات عن بعضها ، لبعث سلطة مدنية قادرة على الوفاء بالمتطلبات الاجتماعية العديدة وهو في هذا متأثر بفكر بعض السياسيين الأوربيين في القرن الثامن عشر الميلادي وتحفظ الشيخ محمد عبده تجاه الحكم الديمقراطي وأقرب منه الى نظرية المستبد العادل لإيمانه بان الحكم له شروطه وأنه يتحقق في المجتمعات الراقية بتلقاء نفسه ، ولذلك دعا إلى وجود (مستبد عادل مستنير) يفرض لى الناس تحقيق الاخلاق الفاضلة فيما بينهم والقيام بواجباتهم اتجاه الدولة والمجتمع في مرحلة أولى حتى يؤهلهم هذا تدريجياً لتمثل اعباء الحكم الديمقراطي ، الذي يقوم على التعدديه واختلاف الاداء ولعله من هذه الناحيه شبيه بالافغاني ،الذي بئس من تحقيق الثوره السياسية السريعة[٥١] .

لقد أراد الشيخ محمد عبده من الحكومة الإسلامية الحديثة أن تكون شورية قوية قادرة على إصلاح مؤسساتها وخاصة منها التربوية بما يجعلها قادرة اكثر على تلبية الحاجات مواطنيها المتجددة في العصر الحديث كما اهتم الشيخ الى جانب اعتماد الحكومة مبادئ الشريعة بالقانون الوضعي معتبراً أن أفضل القوانين ، ما صدر عن الرأي العام للأمة وهو الضمان الاساسي لحرية الافراد والسياسة وسعادة الأمم في الوقت نفسه وهي تختلف من حيث مبادئها واهدافها من أمة إلى أخرى فلا يجوز أقتباسها أقتباساً أليا من الأمم ، الأكثر تقدماً عند بعضهم بالأمة الإسلامية امة دينية بالأساس ولابد من مراعاة إحكام الشرع الإسلامي فيها عند سن القوانين واللوائح والمنشورات والأ ضاعت الحقوق الخاصة للافراد والجماعات[٥٢].

وزادة قوة اثر انه لم يكن يدعو الى الاصلاح نظرياً عن طريق التأليف أو الخطب والمقالات فقط كما يفعل بعض المصلحين بل كان يحاول دائماً ان يحول اصلامة الى عمل ويقمس في الحياة الواقعية ليتمكن من تنفيذ برامجة الاصلاحية فان مات وفي نفسه

غصة من انه لم ينل ما يريد فعزاؤة ان الصالح من افكاره لم يمت وظل يعمل في موتة كما كان يعمل في حياته رحمة الله .

المطلب الرابع :

اثر اصلاحة الأسري :

كانت المراة في عصر محمد عبده ممنوعة من بديهيات اليوم ، التعليم والخروج للعمل ، والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والدلاء بالراي ، والجهر بالقول ، والصدع بالحق ، وكانت واقعة تحت عادات قديمة ما انزل الله بها من سلطان ، وينظر اليها على انها متاع فقط .

وهي نصف المجتمع مما لا شك ، مما دعا محمد عبده لمحاولة الاصلاح ولفت الانتباه الى ان نصف المجتمع في حالة ممات تام ودعا الى ايقاظ هذا النصف [٥٣].

وفي عدد غير قليل من الاثار الفكرية التي خلفها لنا الاستاذ الشيخ محمد عبده نجد اهتمامه بالاسرة وتركيزه على ان اصلاحها واقامتها على اسس سليمة هما الضمان لتكوين المجتمع والامة على النحو الذي نريد من جهودنا في الاصلاح لان الاسرة هي اللبنة الاولى في هذا البناء الكبير[٥٤] .

فهو يتحدث عن ان الامة تتألف من العائلات فصلاحها صلاحها ومن لم يكن له بيت لا تكون له امة وذلك ان عاطفة التراحم وداعية التعاون انما تكونان على اشدهما واكملها في الفطرة بين الوالدين والاولاد ثم بين سائر الاقربين فمن فسدت فطرته الاخيرة في لأهله فأي خير يرجى منه الابداع والابعدين ومن لا خير فيه للناس لا يصلح امن يكون جزءاً من بينه امة لأنه لا تنفع فيه اللحمة النسبية التي هي اقوى لحمه طبيعية تصل بين الناس فان لحمة بعدها تصله بغير الاهل فتجعله جزءاً منهم يسره ما يسرهم ويؤلمه ما يؤلمهم ويرى منفعتهم عين منفعته ومضرتهم عين منظرته وهو ما يجب على كل شخص لامته وهو يرى ان هذا التلاحم الاسري له دور في رعاية المحتاجين في المجتمع والفقراء من اهله فصلاح البيت الصغير يحدث له قوة فاذا عاون اهله البيوت الاخرى التي تنس الى هذا البيت بالقرابة وعاونته هي ايضا يكون لكل البيوت المتعاونة قوة كبرى يمكنه ان يحس بها الى المحتاجين الذين ليس لهم بيوت تكفيهم مئونة الحاجة الى الناس الذين لا يجمعهم بهم نسب .

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

وفي وضع المرأة يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله : (لو أن في الشريعة الاسلامية نصوصا تقضي بالحجاب على ما هو معروف الان عند بعض المسلمين الحجاب هنا هو المكوث في البيت وعدم الخروج واذا تم الخروج للضروريات الكادحة فبالبرقع ليس غير الوجب على اجتناب البحث فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص معها كانت مضرة في ظاهر الامر لا الاوامر الالهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا مناقشة[٥٥].

لكننا لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين منها بريئاً منها .

ولذلك لا نرى مانعاً من البحث فيها بل نرى الواجب ان نلم بها ونبين حكم الشريعة في شانها وحاجة الناس الى تغييرها .

جاء في الكتاب العزيز (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ)[٥٦]

المباحث الشرعية في هذه الآية للمرأة ان تظهر بعض اعضاء من جسمها امام الاجنبي عنها غير انها لم تسم المواضع وقد قال العلماء : انها وكلت فهمها وتعيفا الى ما كان معروفاً في العادة وقت الخطاب .

هذه واحدة من المعارك الحاسمة التي خاضها محمد عبده لاصلاح الوضع الاجتماعي للمراة ودعوتها للمشاركة في الحياة العامة بالضوابط والاسوار الاسلامية التي لا خلاف فيها بين علماء الامة .

المطلب الخامس :

اثر رحلاته بين بيروت وباريس :

انتقل محمد عبده الى بيروت سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٩٣م) حيث اقام بها نحو عام ما لبث ان دعاه استاذه الافغاني للسفر اليه في باريس حيث منقاه واستجاب محمد عبده لدعوة استاذه حيث اشتركا معاً في اصدار مجلة (العروة الوثقى) التي اصدرت من غرفة صغيرة متواضعة فوق سطح احد منازل باريس حيث كانت تلك الغرفة هي مقر للتحرير وملتقى الاتباع والمؤيدين ولقد ازعجت تلك المجلة الانكليز واثارت مخاوفهم كما اثارت هواجس الفرنسيين وكان الامام محمد عبده واستاذه وعدد غير قليل من معاونيهم يحملون عبئ تحرير المجلة وتمهيد السبل لها للوصول الى ارجاء العالم الاسلامي وكانت مقالات الامام تتسم في هذه الفترة بقوة الدعوة الى مناهضة الاستعمار والتحرر من الاحتكاك الاجنبي بكل صوره واشكاله ، واستطاع الانكليز اخماد صوت العروة الوثقى الذي اضج مضاجعهم واقلق مسامعهم فاحتجت بعد ان صدر منها ثمانية عشر عدد في ثمانية اشهر وعاد الشيخ محمد عبده الى بيروت سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م) بعد ان تهاوى كل شيء من حوله فقد فشلت الثورة العربية واغلقت جريدة العروة الوثقى وابتعد عن استاذه الذي رحله بدوره الى فارس[٥٧] .

وكان على محمد عبده ان يشتغل وقته بالتأليف والتعليم فشرح (نهج البلاغة) ومقامات (بديع الهمذاني) واخذ يدرس تفسير القران في بعض مساجد بيروت ثم دعي للتدريب في المدرسة السلطانية [٥٨].

ببيروت فعمل على النهوض بها واصلح برامجها فكان يدرس التوحيد والمنطق والبلاغة والتاريخ والفقة ، كما كتب في جريدة ثمرات الفنون عدداً من المقالات تشبه مقالاته في الوقائع وبالرغم من ان المدة التي حكم عليه كانت ثلاث سنوات ظل في منفاه ست سنين فلم يستطع العودة الى مصر بعد مشاركته في الثورة على الخديوي توفيق واتهامة له بالخيانة والعمالة ولكن بعد محاولات كثيرة لعدد من الساسة والزعماء منهم (سعد زغلول) والاميرة (نازلي) و (مختار باشا) صدر العفو عن محمد عبده سنة (١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م) وان له ان يعود الى ارض الكتابة [٥٩].

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ

٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

الهوامش

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحيث ، احمد امين ، ص ٢٨١.
(٢) الاعمال الكاملة لمحمد عبدة ، محمد عماره ، ج١، ص ١٤ .
(٣) الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، محمد عماره ، ج١ ، ص ٢٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
(٥) تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي الجميل ، ص١٨ .
(٦) تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي الجميل ، ص١٩ .
(٢) اسس التقدم عن مفكرين الاسلام ، فهمي جدعان ، ص ٥٧٠ .
(٨) الفكر العربي في عصر النهضة ، البرت حوراني ، ص ١٦٢.
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(١٠) سلسلة الاعمال المجهولة ، محمد عبدة ، تحقيق : علي شلش ، ص ٢٢٠
(١١) الفكر الاسلامي للامام محمد عبده ، عبد العاطي محمد احمد ، ص ١٢٠
(١٢) الفكر الاسلامي للامام محمد عبده ، عبد العاطي محمد احمد ، ص ١٢١
(١٣) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، احمد امين ، ص ٣١٢.
(١٤) الفكر العربي في عصر النهضة ، البرت حوراني ، ص ١٦٢ .
(١٥) مجلة حوار الفكر ، عبد الله محمد ، علماء مسلمون مجددون : الشيخ محمد عبده .
(١٦) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، احمد امين ، ص ٢٩١.
(١٧) تاريخ اصلاح الازهر ، عبد المتعال الصعيدي ، ص ٤٤ .
(١٨) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، احمد امين ، ص ٢٩٣.
(١٩) من اعلام العصر ، محمد رجب البيومي ، ص ٧٦.
(٢٠) الاعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، محمد عمارة ، ج١ ، ص ١٩ .
(٢١) تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، ج١ ، ص ٩١٣.
(٢٢) الاعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، محمد عمارة ، ج١ ، ص ٩١٣ .
(٢٣) تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي الجميل ، ص١٩٣ .
(٢٤) اعلام واصحاب اقلام ، انور الجندي ، ص ٢٢٠.
(٢٥) رائد الفكر العصري محمد عبده ، عثمان امين ، ص ١٤٥ .
(٢٦) محمد عبده ، عباس محمود العقاد ، سلسلة اعلام العرب ، ص ٣٢٠ .
(٢٧) ديوان احمد شوقي ، ج٢ ، ص ٤١ .
(٢٨) ديوان حافظ ابراهيم ، ص ٤٥٨.
(٢٩) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي ، فهمي البهي ، ص ١٢٠ .

(٣٠) تاريخ اصلاح الازهر ، عبد المتعال الصعيدي ، ص ٦٦.
(٣١) الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، محمد عمارة ، ج ١ ، ص ١١٠ .
(٣٢) من تاريخ العصر ، محمد رجب البيومي ، ص ٨٠.
(٣٣) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٣٣.
(٣٤) تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي جميل ، ص ٢٤٠ .
(٣٥) اسس التقدم عند مفكرين الاسلام ، فهمي جدعان ، ص ٥٧٢ .
(٣٦) اسس التقدم عند مفكرين الاسلام ، فهمي جدعان ، ص ٥٧٢.
(٣٧) تاريخ الاستاذ محمد عبده ، محمد رشيد رضا ، ص ٢١٠ .
(٣٨) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٣٠ .
(٣٩) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٣١.
(٤٠) الفكر السياسي للامام محمد عبده ، عبد العاطي محمد احمد ، ص ٩٢.
(٤١) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٣٢ .
(٤٢) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ،ج١ ، ص ٣٥٤ .
(٤٣) تاريخ اصلاح الازهر ، عبد المتعال الصعيدي ، ص ٥٤.
(٤٤) الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، محمد عمارة ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .
(٤٥) تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي الجميل ، ص ٢١٠ .
(٤٦) من اعلام العصر ، محمد رجب البيومي ، ص ٩٢ .
(٤٧) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٤٥.
(٤٨) اسس التقدم عند المفكرين الاسلام ، فهمي جدعان ، ص ٥٣٠ .
(٤٩) رائد الفكر العصري محمد عبده ، عثمان امين ، ص ١٦٠ .
(٥٠) علم السياسة ، حسن صعب ، ص ٩٢-٩٣ . ينظر علم السياسة ، طه بدوي ، ص ١٠٣.
(٥١) المقدمة ، ابن خلدون ، ص ١٩١.
(٥٢) نظام الحكم في الشريعة في التاريخ ، ظافر القاسمي ، ص ٢٤٦-٢٩٢.
(٥٣) الإعمال الكاملة للامام محمد عبده ،محمد عمارة ، ج٣ ، ص ٣٩٣ ، ينظر الايدلوجية والحداثة عند رواد الفكر السلفي ، محمد صالح المراكشي ، ص ١١٧ .
(٥٤) الايدلوجية والحداثة عند رواد الفكر السلفي ، محمد صالح المراكشي ، ص ٨٢-٨٣ .
(٥٥) الفكر السياسي من افلاطون حتى محمد عبده ، حورية مجاهد ، ص ٢٢٣- ٢٢٩.
(٥٦) تاريخ اصلاح الازهر ، عبد المتعال الصعيدي ، ص ٩٥.
(٥٧) الإعمال الكاملة للامام محمد عبده ،محمد عمارة ، ج١، ص ٣٠ .
(٥٨) زعماء الاصلاح ، احمد امين ، ص ٣٣٣.
(٥٩) الفكر الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،محمد البهي ، ص ٩٧.

المصادر والمراجع

* خير ما نبتدأ به القرآن الكريم .

أولاً : الكتب العربية والمعربة

١- الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ).

٢- اسس التقدم عن مفكرين الاسلام ، فهمي جدعان ، (مطبعة الأنوار ، مصر ، ١٣٥٩هـ) .

٣- اعلام واصحاب اقلام ، انور الجندي ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ) .

٤- الاعمال الكاملة ، محمد عبده ، محمد عمارة ، (طبع ونشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريف ، ١٩٨٨م) .

٥- الايدلوجية والحداثة عند رواد الفكر السلفي المراكشي ، محمد صالح المراكشي ، (دار المعارف ، تونس ، ١٩٩٢م) .

٦- تاريخ اصلاح الازهر ، عبد المتعال الصعيدي ، (مطبعة الانوار ، مصر ، ١٣٥٩هـ) .

٧- تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، محمد رشيد رضا ،(دار علوم الحديث، الامارات العربية المتحدة ، ١٤١٠هـ) .

٨- تكوين العرب الحديث ، سيار كوكب علي الجميل ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦م) .

٩- ديوان حافظ ابراهيم ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ) .

١٠- ديوان احمد شوقي ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ) .

١١- رائد الفكر العصري محمد عبده ، عثمان امين ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥١هـ) .

١٢- زعماء الاصلاح ، احمد امين ، (مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٤هـ) .

١٣- سلسلة الاعمال المجهولة ، محمد عبده تحقيق علي شلش ، (مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ).

١٤- علم السياسة ، حسن صعب ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦م) .

١٥- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي ، فهمي البهي ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ) .

١٦- الفكر السياسي للامام محمد عبده ، عبد العاطي محمد احمد ، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٩هـ) .

١٧- الفكر السياسي من افلاطون حتى محمد عبده ، حورية مجاهد ، (القاهرة ، د.مط ، ١٩٧٨م) .

١٨- الفكر العربي في عصر النهضة ، البرت حوراني ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ) .
١٩- محمد عبده ، سلسلة اعلام العرب ، عباس محمود العقاد ، (مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٤هـ) .
٢٠- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن (دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٩٧٨م).
٢١- من اعلام العصر ، محمد رجب البيومي ، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ) .
٢٢- من تاريخ العصر ، محمد رجب البيومي ، (مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ).
٢٣- المنجد في اللغة والاعلام ، لويس معلوف ، (ط ١٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٣م) .
٢٤- نظام الحكم في الشريعة ، ظافر القاسمي ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٤م) .